

# العرب بين الارهاص والمعجزة

مخلص هذا البحث اللقاء باللغة الانجليزية الدكتور عبد  
الرحمن الانصاري في نقوة دراسات الشرق الاوسط ببلندن ،  
ولاهمية هذا الموضوع سيقوم الاستاذ محمد حسين زيدان  
باعداده باللغة العربية وتقديمه لمؤتمر المؤرخين العرب  
بقطر .

## بقلم : الاستاذ محمد حسين زيدان

سادتي .. سيداتي

في هذا النداء اقدم السيد على السيدة .. اتعمد ذلك لاحفظ قوامي بالمعافاة على التقاليد التي عرفى العربي بالمعافاة على تقاليده كما عرفى الشعب البريطاني .

ليس هذا التقديم للمفاضلة .. فالام عندي افضل من الاب ، ولكنه التقدم بهذه المعافاة على التقاليد لا اكثر ولا اقل .  
سيداتي .. سادتي

لاأريد أن اقدم بحثا عن دراسة شاملة .. فما زلت اعرفى في امثال عروبتى : الا أحمل التمر الى هجر ، فانتم رجال العلم والفكر ممن كنا نسميكم المستشرقين ، فرفضت هذه التسمية اسر بها كما سار بها البروفيسور جاك بيرك ، والبروفيسور شارل بيلا ، الفرنسيان المستعربان - فالقول انتم المستعربون لا المستشرقون .

فلاستشراق يحرمنى انا العربي الاستعواذ عليكم والاتصاق بكم ، وحصر ماصنعتكم لأمى العربية تقديرا لكم .. لا حرمانا للآخرين من علمكم ، ويكل الصراحة ، وبالصدق المكلف به طالب المعرفة .. اقر واعترف انا الموقع ادناه ، اوبعبارة أخرى ، الناطق به امامكم ، باننا نحن العرب مدينون لكم بنشرتاريخنا ، والاحتفال بتراثنا ، والاشادة بعضارتنا ليس من باب الاطراء لتاريخنا واثارنا وحضارتنا ، وانما هو ادخل في باب اعلان الاعتراف منكم بعظمة هذا التاريخ وعظمة هذه الحضارة ، والاعتراف منها .. فقد كانت أمة العرب أمة الاسلام الأمة الوسط ، حاملة الحضارة الوسيط التي افادتكم ، فكانت الاساس والدعامة لما انتم عليه الآن .

## سيداتي .. سادتي

من هذا المنطلق .. لا أتقدم بدراسة وبحث ، وانما أتقدم بخواطر ..

فقد كانت حالة العرب وشبه الجزيرة العربية قبل الاسلام موضوعا لبحوث كثيرة ومتعددة في الشرق والغرب على السواء ، كتبت بلغات مختلفة ، وعكف عليها عدد كبير من الدارسين . ذلك لأن ظهور الاسلام كان حدثا تاريخيا لا يشابهه حدث آخر في تاريخ البشرية كلها .. فلقد استطاع اتباع هذا الدين أن يغيروا وجه الارض المعروفة في ذلك الوقت ، تغييرا كليا في فترة من الزمان لا تتجاوز الثلاثين عاما ، ولا تزال البشرية كلها تعيش في آثار تلك التغيرات الى يومنا هذا .

ومن هنا فقد أراد العلماء شرقا وغربا أن يستطلعوا احوال ذلك الجنس العربي الذي تمكن من ابراز هذه المعجزة .. وارادوا أن يعرفوا الخصائص التي ساعدتهم ومكنتهم من ذلك كله .. فكان لابد من أن يرجعوا الى الوراثة قبل ظهور البعثة المحمدية ، فدرسوا احوال شبه الجزيرة من الناحية الجغرافية وموقعها ، وأثر ذلك الموقع في قبول الاسلام .. كما درسوا احوال القبائل العربية التي كانت تقطن شبه الجزيرة آنذاك من الناحية الاجتماعية ، وتركيب هذه القبائل وعلاقة الفرد بها ، وعلاقتها بالفرد .. والحروب الدموية التي كانت تقوم بينها وأسبابها .

كما درسوا الحالة الاقتصادية وأنواع المتاجر الداخلة الى شبه الجزيرة والخارجة منها ، والنقود التي استعملوها سواء أكانت دراهم فارسية أو دنانير بيزنطية .

ودرسوا حالة الطرق وأنواع القوافل ، ولكن أهم الدراسات انصبحت على الحياة العقلية ومظاهرها في اللغة والشعر والانساب والقصص .

وكذلك الديانات التي كانت سائدة بين سكان شبه الجزيرة ، فدرسوا الوثنية وأصولها وأنواع الآلهة التي كانت تعبد هناك ، ودرسوا انتشار اليهودية والنصرانية والاثر الذي أحدثته هاتين الديانتين في العقلية العربية ، وخلصوا من ذلك كله الى أن تلك الارض كانت موطن حضارات متعددة ومتقدمة .

فلقد كانت مدن الحجاز .. الطائف ومكة والمدينة .. تعيش عيشة الحرية والاستقلال ، فلا تقر بالطاعة لأحد .

أما في الشمال في بادية الشام ، فقد خضع العرب لتيارات السياسة العالمية دون اغوانهم عرب الجزيرة بزمان طويل ، فمنذ زمن الآشوريين كان للعرب هناك مملكة عاصمتها الجوف ، تعاقبت على عرشها الملكات ، وظلت خاضعة لنفوذ الآشوريين حتى عام ٦٦٩ ق-م بل لقد جعل الملك البابلي نابونيدس ( بختنصر ) ٥٦٦ - ٥٣٩ ق-م مقره فترة من الزمان في واحة تيماء التي كانت قاعدة لحملاته على الغرب . ولقد وجد في هذه الواحة نقش آرامي يرجع الى العهد الفارسي يدل على النظام الديني في تلك المدينة ، وما ينطوي عليه من كهنة ، وهاكل ، وآلهة خاصة بكل منها . ثم نشأت دولة الأنباط بعد ذلك بزمان متأخر وسيطرت على تجارة القوافل ، وكانت عاصمتهم سلع أو البتراء ، وهي قلعة جبلية تقع على منتصف الطريق تقريبا بين البحر الميت ورأس الخليج العربي وهي الآن مقصد السياح الوافدين على الاردن .

ولا تزال آثار سلع الهامة والكتابات المختلفة التي نقشت على قبورها المنحوتة في الصخر شاهدة على ماكان لها من حضارة زاخرة . ولقد اصطنع الأنباط الذين ورثوا الثموديين في هذه النقوش . اللغة الآرامية التي كانت لغتهم الرسمية واقتبسوا القاب موظفيهم وزعمانهم العسكريين من الدول الهلينية المجاورة .

ثم قضى الرومان على استقلال ( سلع سنة ١٠٦ م ) وضموها الى امبراطوريتهم وعرفت عندهم باسم « المقاطعة العربية » وكانت تدمر التي خلفت دولة الأنباط اسعد حظا من سابقتها ، وكانت السيادة فيها للعرب .

ولقد خاضت تدمر حروبا ناجحة ضد الفرس ، مكنت ملكها « أذينة » من بسط سلطانه على سوريا كلها . ولما توفي « أذينة » سنة ٢٦٨ م تولت امراته « زنوبيا » - الذباء - زينب أمر الحكم من بعده ، وظلت تصرف شؤون المملكة حتى سنة ٢٧٣ م عندما دمر الامبراطور أورليانوس مدينة تدمر ، وكانت نهاية الملكة « زنوبيا » الفاجعة موضوعا بعيد الاثر في نفوس عرب الصحراء ، وظلت سيرتها تروى في عصور الاسلام الاولى بعد أن اكتسبت طابعا أسطوريا .

وبالقضاء على تدمر انتهى عهد الدول العربية المستقلة في الشمال ، ومنذ ذلك الحين صار الرومان وخلفاؤهم البيزنطيون قادرين دائما على أن يتخذوا بعض العرب صنائع لهم على تخوم البادية ، يستعينون بهم على صد غارات العدو على المناطق المتحضرة ، والواقع أنهم اصطنعوا الفساسة ل'شام . وكان اليهم حكم المناطق

الواقعة شرق الاردن ٠٠ وأشهر ملوك هذه الاسرة الحارث الخامس ، وكانت له سلطة مطلقة على العرب في شمال سوريا ، الا أنه بعد وفاته لم يتمكن ملك من ملوك الفساسة أن يخضع هؤلاء جميعا تحت حكمه الا قبيل الفتح الاسلامي .

واتبع الفرس اعداء الرومان التقليديون نفس السياسة نحو العرب ، والمفروض أن سابور الاول ذا الاكتاف نفسه هو الذي عين عمرا بن عدي من بني لخم ملكا على العرب في العراق ، وقد وجد النقش المنحور على قبر ابنه امرئ القيس في النمارة جنوب شرقي دمشق وعرف عند علماء الدراسات التاريخية باسم نقش النمارة ، ولا يزال أحد المصادر الرئيسية في دراسة أصل الخط العربي .

أما خلفاؤه فقد جعلوا مقرهم بوصفهم عمالا للفرس في الحيرة الواقعة على نحو عشرة أميال جنوب بابل ٠٠ ولقد كان هؤلاء في حرب دائمة مع الفساسة الذين استولى ملكهم المنذر على الحيرة حوالي سنة ٥٧٥ م ودمرها . وهذا ماأشارت اليه الآية الكريمة ( ألم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين ) إشارة الى الحرب بين الامبراطوريتين . غلبت الروم ثم غلبت . ففسزع المسلمون لانتصار الوثنيين الفرس على الكتابيين الرومان حتى اذا انتصروا مهدوا باضعاغ الفرس للانتصار في القادسية .

وعلى ذلك فاننا نرى أن أجناسا كثيرة وجدت في شبه الجزيرة قبل ظهور الاسلام .

ولقد اعتاد النسابون أن يقولوا ان حرب الشمال من نسل اسماعيل بن ابراهيم وعرب الجنوب من نسل قحطان ، وتبعاً لهذه الرواية نعرف فروقا بين القبيلتين :

اولا : ان القسم الجنوبي كان يعيش عيشة استقرار وتغلب عليه الحضارة ، ولقد ذكر القرآن هذه الحقيقة في قوله تعالى : « لقد كان لسيا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور » أما أهل الشمال فكانت تغلب عليهم البداوة والبعد عن الاستقرار .

ثانيا : انهم مختلفون في اللغة ، فكانت لغة اليمن تغالف لغة الحجاز ٠٠ فاللغة اليمنية أكثر اتصالا باللغة الحبشية والاكادية ٠٠ ولغة الحجاز أكثر اتصالا باللغة العبرية ، النبطية .

ثالثا : أنهم مختلفون في درجة الثقافة العقلية تبعا لما هم عليه من هيئة بدوية أو حضرية .. وتبعا لاختلافهم في اللغة والامم التي كانوا يقاطونها ، ولقد تجاوز المؤرخون عندما ذكروا أن هذا اختلاف في اللغة وليس الامر كذلك وانما هو اختلاف في اللهجات أما اللغة فأساس واحد .

ورغم ذلك فانه مما يستوقف نظرنا أن نرى اللخمييين في الحيرة والفسائسة في الشام قد عمروا قرونا وبلنوا في المدنية شأوا بعيدا - اذا قيس بحالة العرب في الجزيرة - وكان منهم من يخالط العرس والروم ويتكلم بلغتهم ، ودينهم على العموم كان أرقى من دين غيرهم من العرب .. فهم اما نصارى أو مجوس وهذا كله كان داعيا الى غصب الذهن وتفتق القرينة بالشعر ، وكان من المعقول أن تخرج بلادهم فحولا من الشعراء .. ولكننا لم نظفر منهم بشعر ذي خطر ، فهم مثلا يحدثوننا عن عدي ابن زيد العبادي الحيري وهو شاعر ضعيف كان الاصمعي وأبو عبيدة يقولان فيه : هدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجدي معها ، وكل الذي يرويه لنا الادباء هو رحلة شعراء الجزيرة .. كالنابغة والاعشى وحسان الى أمراء الحيرة وأمرأ غسان .

ولقد كانت الحياة الدينية عند العرب القدماء تقوم على تقديسهم لضروب من الحجارة في سلع وغيرها ، ولقد حظيت بعض الاماكن المقدسة بشهرة خاصة ، فكانت القبائل المختلفة تجم الى عكاظ ، والواقع أن الاسواق التي كان العرب يقيمونها في الجاهلية ارتبطت بالاحتفالات الدينية ومن هنا كانت مجالا لتبادل النتائج الرومي بالاضافة الى البضائع والعروض المادية .

ولكن هناك ثلاثة آلهة اشتهرت عندهم أكثر من غيرها ، الاولى وهي « مناة » وكانت معروفة في مكة ، ولكن عبادتها شاعت على الخصوص بين قبائل هذيل ، والثانية « اللات » ، والثالثة « العزى » .

ولكن بالاضافة الى هذه الآلهة اعتقد العرب ككثير من غيرهم من الشعوب القديمة بآله خالق للكون هو « الله » سبحانه وتعالى ، فهم يعرفون الرب ويشركون بالآله .

كما أن الديانات السماوية التي كان لها منذ زمن طويل انصار وأتباع في بلاد العرب قد ساعدت على عدم الوثنية العربية السابقة .. ففي جنوب الجزيرة بلغت اليهودية في فترة من الزمن مبلغا من القوة ظهرت آثارها في اعتناق الحكام لها .

أما النصرانية فقد تمتعت في ظل الإمبراطورية الرومانية بقوة اجتذاب عظيمة لمجرد كونها دين الدولة الرسمي .. وما لاشك فيه أن بلاد العرب الداخلية وبخاصة مدن الحجاز التجارية لم تكن تجهل كل الجهل تعاليم المسيحية وتقاليدھا بسبب اتصالھا الدائم بقبائل الشمال .. وليس من شك في أن الرهبان الذين انتشرت صوامعهم من فلسطين وشبه جزيرة سيناء حتى قلب الصحراء كان لهم أثر كبير في تعريف العرب بالنصرانية .

تلك هي خلاصة لبعض الأحوال السائدة في شبه الجزيرة قبل البعثة المحمدية .

وقد يكون في خواطري الجديد علي ، أو هو الجديد مني ، ألفت اليه أنظاركم لعل بعضكم يعترف بصحته ولعل البعض الآخر يطرح حوارا يناقض هذا الصواب ، فالحوار فيه التقيض ، لكن التقيض حياة للتقيض ، خطأ يصلحه صواب ، وصواب تتعرض اليه التخطئة لينصب حيله وينتصب قوامه ، صوابا لاتأخذ منه التخطئة ، فالتاريخ الحديث .. الاثر كلمة صامدة نحاول أن ننطقها بقراءة جديدة ، وفقه جديد أنتم أيها المستمربون كنتم السباقين الى فكر التاريخ وفلسفة التاريخ .

سباقون بالجهر ، وبالصراحة ، وفي هذا لا أكيل الثناء عليكم ، وانما أريد أن يكون كبرياء تاريخ العرب لايشكر للذين يفقهونه ويفلسفونه .

ولست بهذا الثناء عليكم أنسى عالمنا وامامنا في فلسفة التاريخ العربي الحضرمي التونسي المصري ابن خلدون .. كما لا أنسى أستاذ القومية العربية من سمى نفسه اعجابا بابي خلدون .. ساطع الحضرمي ، آجاد الحوار مع المؤرخ الكبير .. لا يحرمه الحوار حين يبرز الخطأ من الحب والتقدير للامام ابن خلدون .. فالحوار فكر مع فكر .. بهذا يعلمو ولن يكون ذاتا مع ذات .. أنانية ضد أنانية ، فان كان ذلك فليستقط التاريخ .

هذه المقدمة أتبعها بمقدمة ثانية عن لغة موجزة عن الامة العربية في عصور التاريخ السحيقة .

فاذا كان طوفان نوح هو التطور الثالث طبيعيا ، أبرز أراضيه ، وأغرق أراضيه ، وخسف حضارات ، فان العرب هم ورثة نوح .. أصحاب التطور الحضاري

من ولده سام - فهم الساميون الاكثر اعتزازا بالسامية - لا يحاربونها وانما هم يحاربون من اقموا انفسهم على السامية من الذين تهودوا من هؤلاء الانكفاز الذين لم يلدهم اسرائيل .. قد تسميه تجاوزا : التطور الثاني ، لا الثالث لنعطيك انتم كمستمرين قيمة التطور الحضاري الثالث - ارجو الا يرتفع اصبع يذكركم بحضارة الرومان واليونان ، فلا اريد ان انسى ذلك او اتناساه ، ولست متمسكا حين اخضع حضارة اليونان والرومان جزءا كقبس من التطور الثاني لحضارة الانسان صناعة العرب ، جاءت حضارة اليونان والرومان قبسا منها \*

فالفراعين والكلدان والآشوريون والانيابط وعاد وشمود وفينيقي وكنعان... هؤلاء عرب هم اصحاب التطور الثاني واليونان جاموا معاصرين لبعض هؤلاء أو متأخرين عن بعض هؤلاء \*\*

فعين اذكر هذه الشعوب العربية حول النهر .. نهر النيل ، نهر الفرات ، نهر بردى ، نهر الاردن - في اليمن الخضراء .. في شطط الصحراء .. اعتبر ان كل هؤلاء من العرب .. وكانوا بكل ماتمكتوا به وبالرسالات والانبياء .. كانوا اول ارهاص لهذا الاسلام ، فالعرب بكل مالههم وما عليهم كانوا الارهاص .. اعدهم الله لان يكونوا وفي احقاب السنين هي دعائم من الحضارة ، وتعدد الديانات ، ونبوغ الرسالات ، مقدمة لهذا الدين ، حمله العرب اول من حمله ، ثم حملته الشعوب الاخرى التي اسلمت فكانت عربية الوجدان بلغة القرآن وتعاليم القرآن .. مسلمة الايمان ، بتعاليم القرآن .. وشريعة الاسلام \*

هذا الارهاص الكلي ، وباعتباره التكوين لوجدان العربي وفكره وحضارته .. قد جاءت بعده ارهاصات كثيرة منها ظاهرة السلب ، والانتفاء من الانتماء ، وكثير من الايجاب .. الاحتفاء بالانتماء ، فكيف كان ذلك ؟

سيداتي .. سادتي :

فادهر العرب في جزيرتهم فلم يصحروا ، اندفعوا موجات موجات ، لا ينتقلون بشرا الى الامراع حول النهر .. وانما نقلوا كل فكرهم ووجدانهم الى بيئات خضراء اغضرت بها حضارات ورثت حضارات وانبتت حضارات -



فانهجرة من الامراع الى الصحراء غير واردة \* قال ذلك العلماء ، وانما الصحيح أن هجرة العرب كانت من الارض التي ادمرت الى الارض التي امرعت ، لكن وقد التصقوا بالارض لم يدعوا الجزيرة فراغا ، بقيت بقايا منهم في بيوت الشعر ، كانت الملجأ لهم حين تعرضهم شعوب غازية ، يهاجرون من بيت الشعر ، ويتهاجرون اليه \*

ان بيت الشعر هو عظمة الارهاص لمجرة الاسلام \* تصوروا كم هي المهلكات التي سقطت على بيت الشعر \* جذب ، وامراض ودماء \* الخ هذه الواوات ، وبقي بيت الشعر المدد الولود يحفظ على الشام هرويته ، وعلى العراق هرويته ، وعلى اليمن حضارته ، ويمد أفريقيا بمدد عربها \*

فقد قال الامام ابن باديس ، شيخ الجزائر ، الرجل الاول في تعليم الجزائر الثورة على الاستعمار \* قال : لئن قيل انهم غربوا ، فلنقل انهم هربوا \* يعني موجة بني هلال وبني سليم \* فموجة الفتح التي استمرت في امبراطورية الخلفاء ، وامبراطورية امية ، وامبراطورية العباس ، تيمتها موجات من الجزيرة لم تذهب للنجعة وانما كانت حملة قومية هوازع سياسي لم يسأل عنه تاريخ المعز الى الآن ، ازمع انها على يقين أن موجة بني هلال وبني سليم كانت عن تخطيط بين هاتين القبيلتين وبين المعز الفاطمي \* لها اثارها وبها تأثيرها \*

سيداتي \* \* سادتي :

أكثر الذين كتبوا عن العرب ، ومن المسلمين بالذات وقعوا في خطأ ابن خلدون يزعمون أن العرب كانوا قبل الاسلام لاشيء ، وأن الأعراب بعد الاسلام هم لاشيء \*

والحق ان هذا خطأ ، نظروا الى أحد الوجهين من العملة ولم ينظروا الى الوجه الثاني \* استمروا في تمديد السلبات ، وما خطر على بالهم أن خلفية هذه السلبات كانت ايجابية \*

قالوا :

ان العرب كانوا قبائل تسيل بينها الدماء في حروب قبلية \* \* خطأ \* \* أن يكون في ارض واحدة شعب واحد يتوزع قبائل يقتل بعضها بعضا \* \* هذا وجه الدينار \*

أما الوجه الآخر فشيء آخر ..

ان حروب القبائل ، أزعج وأنا على يقين ، أنها كانت ارهاصا لمجزة الاسلام ..  
لرسالة سيدنا محمد سيد الانام عليه الصلاة والسلام .. فالدين الجديد .. الرسالة  
المحمدية ، رسالة الاسلام .. لابد لها من رجال يعتقدونها .. يحمونها .. ينشرونها  
يتحضرون بها ليرسلوا الحضارة الوسيط الى بني الانسان ..

هذه الحروب القبلية .. كانت أكاديميات عسكرية ، تعلمت القبائل المتحاربة  
من هذه الحروب البغيضة ، التعامل مع السيف والرمح والاحتفاء بالقتل ، والتجارة  
به ، فقد كانت عند بعضهم ذخيرة من هذا السلاح اما أن يتمثلوها بها .. أو أن  
يمثلوا قبيلتهم بها ..

أدرك العباس بن عبد المطلب مثلا السلاح كل السلاح عند صفوان بن أمية  
الى غير هؤلاء ..

ان قوسا واحدة .. قوس حاجب بن زراره .. صنعت حرب ذي قار .. حتى  
اذا جاء الاسلام ، وجد الفوارس .. قادة الجيوش ، فهل كان في الامكان لو لم تكن  
هذه الحروب المملعة ، أن يكون في الاسلام وللإسلام قائد مثل خالد بن الوليد ..  
أركان حرب مثل القمقاع بن عمرو ، وفاتح الشرق مثل قتيبة بن مسلم ، فاتح الغرب  
مثل عقبة بن نافع ، فاتح الاندلس مثل موسى بن نصير وطارق بن زياد ..

تعلموا في الجاهلية حتى جاءوا الى الفتح كانوا الاساتذة يعلمون الاجيال  
بمدهم ..

والانحياز الى الصحراء يظهر للمتشبهين على العرب أنه بداءة ، بينما هو ورغم  
الحروب القبلية ، كان تكتلا حضاريا .. لم يمكن للفرس أن يتجاوزوا الحيرة ، ولم  
يمكن للرومان أن ينفذوا الى بادية الشام ، ولم يمكن للفرس ولا للابشاش أن  
يستقروا في اليمن ..

كان تكتلهم في الجزيرة ارهاصا لهذه المجزة الاسلامية ، وحين سطع نور هذا  
الدين ، وجد في هذه المنطقة الجبلية ميدان نجاح .. صدق النبي محمد بالرسالة على  
الصفا ، فنفته مما جرى ارهاصين : فعن بشرهم وأنذرهم كان من ردود الفعل أن

تجتمع قريش على كلمة واحدة ، تصده وترده ، ولكن هذا الاجتماع انفرادي في اللحظة الاولى بموقف أبي لهب المنكر للرسالة ، فلو لم يقف أبو لهب عم النبي هذا الموقف المنكسر لأجمعت قريش أمرها على الإنكار بكلمتها الوحيدة تصد وترد .. لكن كلمة أبي لهب « تبا لك .. ألهذا جمعنا » ، أطفأت غلواء قريش كأنهم قالوا اتركوه الى عمه ، وجه العملة الرديء .. إنكار أبي لهب ، وجه العملة الارهاص ، فموقف أبي لهب فرق كلمة قريش ، تركت الرسول العظيم لمشيرته الاقرب فلم تشارك عشائر قريش أول الامر في كلمة واحدة .. أعطت المتنفس لـمسلم السابقون الاولون .. ينازعهم عمه أبو لهب ، يطفئ النار بما سلب ، يناصره عمه أبو طالب ، يقاوم نائزهم بما أوجب .

وهذا الموقف في مكة ، وهو سلب كل السلب ، تعارب قريش لرسول الله بالاذى والانكار ، والتعذيب للمستضعفين .. كان عملا رديئا ، لكن الوجه الآخر للدينار كان عملا مفيدا .

## لماذا؟؟

لأنه وكما ذكرنا من أن قريشا تركت الامر بين أبي لهب ينازع الرسالة المهدية فان العرب كل العرب تركت قريشا تنازع الرسالة المهدية .. فكانهم أرادوا .. ما دامت مكة قد حاربت هذه الرسالة فلا داعي لأي تكتل منا يحارب الرسالة في مكة .

فقد يخلق هذا الصراع بيننا وبين قريش حين نبادر الى أي تحرك ضد مكة .

كان تأخر العرب لأن تعارب هذه الرسالة ارهاصا للنبوة .

الستم معي في هذا الفكر ؟! أرحب بمن يستريح لهذا الفكر ولا أجفل ممن يناقض هذا الفكر .

سيداتي .. سادتي :

وارهاص آخر يتبع ارهاص المتحاربين والمستنكرين على الصورة التي شرحت بارهاص آخر كان أساسه المعتقد والعقيدة .

سطع نور الاسلام ، وقبائل العرب في جزيرتهم ، في نجدهم وحجازهم وتهائمهم  
وسرواتهم ، وثنيون ٠٠ لهم آلهة من حجر أو شجر ٠٠ أو حتى اله من عجوة التمر ،  
كما هو اله عمر في الجاهلية ٠

هذه الوثنية في العرب أزعج أنها من الارهاص للاسلام ٠

### كيف كان ذلك ؟؟

فلو كانت قبائل العرب نصرانية ٠٠ لناصرها الرومان ، وجاءها المسدد من  
الشام ، ولو كانت يهودية لتمتر اقتناعهم بالاسلام ٠٠ كما هو الحال فيما وقع في  
الواحات المربية ٠٠ المدينة ، خيبر ، وما الى ذلك من وادي القرى ٠

لو كانوا نصارى أو يهودا أو لو كانوا وثنيين مجوسا من اتبباع زرادشت أو  
ماني ٠٠ لوجدوا التصير ولوجد الاسلام العسير ، ولكنهم كانوا وثنيين ٠٠ لديهم  
ملاح ووراثات من ملة ابراهيم ، فانفتح وجدانهم الى قبول العقيدة الاسلامية بيسر  
فيه بعض العصر ٠٠ ليس سببها عمق العقيدة لديهم ، وانما سببها زعامات خافت على  
نفوذها اذا ما انطلت تحت راية الاسلام كالذين ادعوا النبوة أو الذين منعوا الزكاة ٠

ان ( هبل ) الوثن كبير الآلهة في مكة الذي سقط من جوف الكعبة كان وثنا ،  
رديئا أن يعبد ، ولكنه من الوجه الآخر ، كان حرزا للمربي ان يتنصر أو يتهود ،  
كان ارهاصا لمعجزة الاسلام تدخل فيها قبائل العرب الوثنية ٠

ان اليهودية في الواحات ، كانت العصر كل العصر ، فما تنفس الاسلام حتى  
اجلاهم ، وان نصارى تغلب قد مكثوا طويلا فلم يسلموا الا بعد لاي ٠٠ فطليحة  
الاسدي الوثني ادعى النبوة ، وما امرع ما انهزم حتى أسلم ، وغلبة التغلبي  
النصراني انهزم مع طليحة ٠٠ فما أسلم حتى أهلكه خالد بن الوليد وما زالت تغلب  
تبقى على نصرانيتها الى زمن طويل ٠

سيداتي .. سادتي :

ان القومية العربية حين أصبحت شعبية عربية في عهد بني أمية ، كان لها وجهان .. الوجه الحبيب الى العرب ، والوجه البغيض الى الشعوب المسلمة قذ غربها العرب فحملت لهم مذلة اختفت ثم ظهرت \*

لم تكن احسانا على العرب الا حينما من الدهر تسعين عاما ، ولكنها كانت احسانا لانتشار الاسلام ، وثبتت الشعوب بحيائه ، تدافع عن نفسها به ، فبالاسلام انتصبت شعبية هذه الشعوب الى هدم القومية لنصرة ذاتها بانتصار الاسلامية ، فظهرت العباسيين فانقلب الامر على حرمان العرب من كل سلطان .. حلفاء عرب يفكر اسلامي ينتصر بغير العرب ، فمن سيئات الشعبية اذلال العرب ، ومن بعض محاسنها انتصار الامبراطورية العباسية لتنتشر حضارة الاسلام برجال من اعراف غير عربية لكن اللسان الامبراطوري العظيم .. لسان العرب هو الذي لم يهزم .. فكل هؤلاء الرجال المباقرة من غير العرب كانوا عربا .. عربا تكلموا العربية ، فكروا بأسلوبها ، كتبوا بها .. فالحضارة الاسلامية صناعة مسلمة بوجودان عربي ، بلغة عربية .. ليس هذا ارهاصا انما هو معجزة ، ليست معجزة العرب وانما معجزة الاسلام \*

ان الاسلام ليس دين عبادة فحسب وانما هو حرية الوجدان والفكر في انطلاقة لاعتناق ماهو حسن ، واجتناب ماهو سيء ، فلم يتنكر المسلمون الى علم الصين والهند واليونان والرومان .. اخذوا كل ذلك فاعطوا على ذلك .. ليس هذا ارهاصا وانما هو معجزة \*

سيداتي .. سادتي :

تقدم اليكم الاثر الاجتماعي وكيف كان المظهر السوء له عائد حسن ، فالقتال والوثن والخلاف .. كل هذا مهدت كارهاص لمعجزة الاسلام .. غير أن هناك الدعامة والاساس ، اساس سرمدى هو وحدة الارض ، فالارض عربية كأنما طوفان نوح وابناء سام الذين هم الخلاصة التي جاءت بالشعوب العربية ، فالشعوب العربية هي الاولى بوراثنة السامية لاغيرها \*

ان وحدة العراق في الغالب في وحدة الارض كان ارهاصا للاسلام ، فاتصال الارضين التي عمرها العرب سهل قبولهم للاسلام حتى ان الاستعمار الروماني والفارسي كانا من هذه الاسباب التي انتصر بها الاسلام كما انتصر عليها ، فالشعب العربي في الشام ، في العراق ، في اليمن ، في مصر ، في افريقيا ، وجد وهو في ثورة على المستعمر الغوث في الفتح الاسلامي .

فالوجه الرديء للاستعمار له وجه آخر هو ان حرب الشعوب عليه قبلت الغوث فعين فتحت الارض الموحدة انفتح قلب ساكنها العربي لهذا الاسلام .

وحدة الارض عامل كبير . فرغم صعوبة وسائل المواصلات كانت وحدة الارض هي القربة التي سهلت صعوبة المواصلات الى قرب الاتصال .

سيداتي .. سادتي :

وهناك عامل اساسي ايضا بعد وحدة الارض هو وحدة اللغة .. لهجات الشعوب العربية كانت قبل هذا التوجيه للغة كأنها لغات متغايرة ، وجاء الامر قبل الاسلام ارهاصا في الاسواق العربية أهمها سوق عكاظ تجتمع القبائل ، يتسع الحوار ، تتصافح القربي ، تتعارف الرجال ، تتوحد اللغة .. كانت وحدة اللغة تمهيدا لفهم لغة القرآن فلهذا القرآن جاءت ببيان فصيحة في أمة ببيان فصيحة .

ان وحدة اللغة عامل أهم ، كان رديفا لتأثير القرآن ، يعرفونه ، يفهمون لغته متوحدين في هذا الفهم بلسان واحد عربي مبين ، فكان من السهل أن تدخل لغة القرآن مساح الوجدان الموحد بلسان واحد .

سيداتي .. سادتي :

تقع الامة العربية الآن في خطأ الانعزالية .. كل شعب يؤرخ لشعبه ، مصر تمرل بتاريخها مستقلة به عن العرب ، العراق .. لبنان .. تونس .. الخ ما هنالك

فراعين ، فينيقيون ، كلدانيون ، آشوريون .. ان هذا الانفصال او الانعزال تجزئة لتاريخ أمة العرب ، بينما كل هؤلاء عرب ، ليس برهاني وحدة اللسان ، وانما برهاني وحدة الوجدان ، وانما دليلي وحدة الأثر ، فالأثار العربية في الجزيرة وعلى الخليج تناغينا بأنها المدد لأثار الآخرين ، أو الاستداد لها .. ذلك ما يأتي به الزمان عندما نتعاون نحن وأنتم على كشف المخبا .

زارني استاذ تاريخ مصري في يده بحث عنوانه ( الاستعمار الآشوري ) فألهمت ساعة في الحوار معه .. اقول له ان كلمة الاستعمار حديثة ، وكلمة الاستيطان أحدث وأرى أن تسمية انسياح الآشوريين أو الهكسوس أو الفتيقيين أو الكنعانيين من ارض عربية الى ارض عربية .. أن تسمى بالاستعمار ، فالاستعمار تسلط الاجنبي ، والمربي حين يأتي بلدا عربيا ولو بصورة غزو فانما يعمر أرضه ، ويتأخى مع انسانه فيذوب فيه .

ان دعاة الفرعونية ، والفينيقية يزعمون أمرهم لو انتصروا أن يمدوا الفتح الاسلامي لمصر أو لبنان أو تونس استعمارا .. قياسا على وصف الآشوريين والهكسوس بالمستعمرين .

من هنا كانت الدقة في عظمة التسمية الاسلامية ، تسمية ضم الاراضين العربية في وحدة العقيدة ووحدة اللغة والوجدان فتعا .. ( انا فتحنا لك فتحا مبينا ) .

الفتح العظيم .. حتى الترجمة لكلمة غستان لبيون جاءت اعرابا عن هذه الدقة في التسمية .

انا لا اعرف كلمة غستان لبيون بالفرنسية وانما اعرف الترجمة « ماعرف التاريخ فاتعا ارحم من العرب » او الكلمة الاخرى .. لقد فتح العرب في ثمانين عاما أكثر مما فتح الرومان في ثمانمائة عام وأكثر من ذلك .. لهذا ادعو الشعوب العربية أن تفقه تاريخها .. تاريخ أمة واحدة ، لكل شعب امتياز ، لكل شعب جهده لكل شعب مجده .. لكن التاريخ واحد والامة واحدة .. ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

فالخلاصة أن المرب حملة رسالة •• بناء حضارة •• مناع سلام •• يحتفلون  
بالصدقة •• يحترمون حاضرم ، ويميلون لمستقبلهم •• فما أكثر ماتيسراوا من  
الحقد ، وما أكثر ماتجرعوا من الحقد •

المرب بالارهاص وبالمجزة كانوا وما زالوا قوة تؤمن بالحق ، وتخضع لقانون  
الحق ، وتريد أن تكون أمة تعمل للسلام ، لا تفتال أرض أحد ، ولا تستفول في دماء  
البشر ، وانما تريد سلامة الناس من الناس •

كانها بهذه الفلسفة انسان الانسان ، لاتلوموني ان فخرت بأمتي فكلكم فنور  
بأمته •• وشكرا •

محمد حسين زيدان

### المراجع :

فجر الاسلام -- ل احمد أمين

حضارة المرب -- لجوستاف لوبون -- ترجمة عادل زعيتر •

أرض الانبياء -- فليبي